

القصة القصيرة شكل نثري حديث ظهر استجابة للتحويلات الحضارية والإعلامية والأدبية التي عرفها العالم بفعل تنامي حركية الحياة ونشاط الصحافة. وتقوم القصة القصيرة على اختزال الحدث وعدد الشخصيات والزمان والمكان. وقد نبغ فيها عدد من الأدباء العرب الذين اقتبسوا هذا الشكل الأدبي من الغرب وأضافوا إليه أمثال يحيى حقي ويوسف إدريس وجمال الغيطاني وغيرهم. ويعد محمد إبراهيم بوعلو من كتاب القصة القصيرة المغاربة، فما خصائص هذا الشكل النثري من خلال نصه الذي نحن بصدد دراسته ؟

يبدو من خلال الجملة الأولى من النص وجود شخصية تعيش حالة الرغبة في النوم ضمن زمان محدد (هذه الليلة)، إضافة إلى قصر حجم النص. ومنه نفترض أننا بصدد قصة قصيرة فعلا. وقد تمحور موضوعها حول انزعاج شخصية رئيسة من أزيز حرمها من النوم. انشغلت الشخصية بالأزيز وراحت تقدم الاحتمالات لتفسيره، بل إن أرقها دفعها إلى إحداث ضجيج أثار الزوجة التي استفسرت زوجها عما به، فأخبرها بالسبب لتطمئنه بأن الأمر يتعلق بالجيران الذين ينامون ويتركون التلفاز مشغلا فيثير الأزيز.

والواقع أن المتن الحكائي عبارة عن خطاطة سردية تقوم على وضعية أولية تتمثل في رغبة الشخصية الرئيسية في النوم. غير أن هذه الوضعية ستختل بفعل أزيز أرق الشخصية ودفعها إلى نسج احتمالات لتفسير ما يقع لتتطور الأحداث إلى إزعاج للزوجة واستفسار ومعرفة مصدر الصوت. وهكذا ستؤول الأحداث إلى وضعية نهائية تمثلت في نوم الشخصية الرئيسية بعد أن أغلقت نافذة المطبخ التي يتسلل منها أزيز تلفاز الجيران.

يقوم على نقل أحداث هذه الخطاطة سارد غائب غير مشارك في الحدث. وقد نسج علاقة بالشخصية الرئيسية تمثلت في معرفته بتفاصيلها الداخلية (الرؤية من الخلف) بدليل اعتماد جمل تكشف عن هذا الداخل مثل : «لديه رغبة شديدة في النوم هذه الليلة».

وقد توسل السارد في التعريف بشخصيته الرئيسية بالحوار الذي اتخذ طابعا خارجيا تمثل في حوار الزوجين في شأن مصدر الأزيز. أما وظيفة هذا الحوار فهي التعريف بالشخصية وانشغالها من جهة، وتكسير رتابة السرد من جهة أخرى. أضف إلى ذلك اعتماد السارد مكوني الزمان والمكان. أما الزمان فتجسد في الليل الذي يتماشى مع المتن الحكائي الذي يتحدد في النوم بحثا عن السكينة والهدوء. وأما المكان فهو غرفة النوم التي تستجيب بدورها لمتطلبات الهدوء والراحة ليلا. وقد اضطلع هذان المكونان بوظيفة أساسية لنقل تجربة الإزعاج التي يمكن أن يثيرها أزيز في هذا الزمان وذاك المكان.

يتبين مما سبق أن النص عبارة عن خطاطة سردية انتقل فيها الحدث من توق إلى النوم الهادئ إلى التمكن منه بعد القضاء على تداعيات العنصر المخل. ونستطيع من خلال هذا المتن السردى استخلاص بعض خصائص القصة القصيرة. فهي إنتاج أدبي نثري قصير الحجم يقوم على الاختزال، ويستند إلى زمان ومكان محددين يقومان بوظائف إزاء الحدث. أضف إلى ذلك اعتماد القصة القصيرة الحوار الذي يؤدي وظيفة التعريف بالشخصية وتكسير رتابة السرد.

لقد استطاع الكاتب المغربي نقل بُعد نفسي إلى القارئ يتمثل في هشاشة النفس الإنسانية : فأزيز بسيط يستطيع أن يؤرق راحة الإنسان، وإغلاق نافذة قادر على تبديد هذا الأرق لينتهي بذلك طابور الأسئلة والاحتمالات : «وعندما تمدد فوقه لم يشعر إلا والنوم بهجم عليه دفعة واحدة لم يترك له فرصة التأكد من أن الصوت حقا يأتي من الجيران».

(2) المؤلفات

القبلة المدروسة تقع في الفصل الرابع من كتاب «ظاهرة الشعر الحديث» لأحمد المداوي الناقد المغربي الذي لم يكن ناقدا فحسب، وإنما كان شاعرا أيضا، إذ نظم في هذا الصدد ديوان «الفروسية». أما الكتاب فرصد لظاهرة الشعر الحديث عند العرب من جهتي المضمون والشكل. أما موضوع القبلة فهو التحولات الجذرية التي عرفتتها قصيدة الشعر الحديث على مستوى الشكل، متجاوزة بذلك المقومات الشكلية للشعر القديم.

لقد جدّد الشاعر الحديث في لغة القصيدة فابتعد عن لغة الحياة اليومية فكانت لغة قصائدهم في الغالب مثالية تنزع نحو الغموض، وذلك بواسطة شحن الألفاظ بدلالات كثيفة وجديدة ترتبط بتجربة الشاعر. كما جدّد الشاعر الحديث في تصويره الذي أصبح يحيل على عمق ثقافي وانفتاح على الثقافات الإنسانية. وهكذا وردت في الشعر الحديث الرموز والأساطير لتكون معادلا لتجارب الشعراء. وأما على مستوى الإيقاع الشعري، فقد تخلى الشاعر الحديث عن إيقاعات الشاعر القديم، فاعتمد التفعيلة وجدّد في نوعها وعددها وربطها بالفكر والخيال والدقات الشعورية:

لقد اعتمد أحمد المداوي في عرض أفكاره وتفسيرها إطارا منهجيا متنوعا؛ فهو تارة وبالأساس تاريخي يربط الظواهر المعالجة بسياقها، وهو تارة أخرى نفسي يربط النص بنفسية المبدع وما يختلجها من أحاسيس، وهو تارة ثالثة فني لغوي يستعرض من خلاله الخصائص اللغوية والفنية للنصوص المدروسة.